وَإِسْحَاقُ مَأْمُونٌ عَلَى مَنْ أَهَانَهُ
وَلٰكِنْ تَسَلَّى بِالْبُكَاءِ قَلِيلَا[١]
وَلَيْسَ جَمِيلاً عِرْضُهُ فَيَصُونَهُ
وَلَيْسَ جَمِيلاً أَنْ يَكُونَ جَمِيلَا[٢]
وَيَكْذِبُ مَا أَذْلَلْتُهُ بِهِجَائِهِ
لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِ الْهِجَاءِ ذَلِيلَا[٣]

لا يحمد السيفُ كلَّ من حمله

وقال يمدح أبا العشائر:

[المنسرح]

لَا تَحْسَبُوا رَبْعَكُمْ وَلَا طَلَلَهْ
أَوَّلَ حَيٍّ فِرَاقُكُمْ قَتَلَهْ[٤]
قَدْ تَلِفَتْ قَبْلَهُ النُّفُوسُ بِكُمْ
وَأَكْثَرَتْ فِي هَوَاكُمُ الْعَذَلَهْ[٥]

---

(١) ولشدّة رعبه، فإنه في حال وُجهت إليه إهانة ينطوي على نفسه ويبكي لعجزه عن المجابهة وردّ الإهانة إلى صاحبها، وصاحبها آمن ألّا يُصيبه مكروه من جانب ابن كيغلغ.

(٢) يتعرّض الشاعر إلى عرض ابن كيغلغ، فهو يفتقد إلى ما يعتقد أنه جميل فيصان ويعمل صاحبه على الدفاع عنه، إنه مهدود الأركان كلّ من استطاع أن يسطو عليه أفلح في مسعاه وبقي عرضه يرسف في وهدة الوحل.

(٣) ينسب الشاعر إلى مهجوه الكذب، فما وجهه إليه لا يُعتبر في نظره كذباً، فهو لم يُذلّه، ذلك أنه أصلاً ذليل حقير لا ينفع لشيء ولا قيمة لمدعاه بأن الشاعر قد عمل على إذلاله وتحقيره.

(٤) و (٥) يبدأ الشاعر قصيدته المدحيّة بمطلع غزلي. الربع: المنزل. الطلل: ما بقي من آثار الديار. تلفت: هلكت. العذلة، الواحد عذول: اللائمون. يُخاطب الشاعر الأحبّة أنهم ليسوا أول من أمات تلك الديار برحيلهم عنها، إنها حياة الصحراء؛ فقد فرضت على ساكنيها لقسوتها وجبروتها أن يرحلوا عنها طلباً للحياة والاستمرار، ولم تكن الديار وحيدة بما فعلت فقد هلك كثيرون من العشاق بسبب فراق الأحبة لتلك الديار، واللوم يصبّه العاذلون للعاشقين محذّرين من الوقوع صرعى ضحية الأحباب.

خَـــلَا وَفِـــيـــهِ أَهْـــلٌ وَأَوْحَـــشَـــنَـــا
وَفِـــيـــهِ صِـــرْمٌ مُـــرَوِّحٌ إِبِـــلَـــهْ[١]
لَـــوْ سَـــارَ ذَاكَ الْـحَـبِـيـبُ عَـنْ فَـلَـكٍ
مَـا رَضِـيَ الـشَّـمْـسَ بُـرْجُـهُ بَـدَلَـهْ[٢]
أُحِـــبُّـــهُ وَالْـــهَـــوَى وَأَدْؤُرَهُ
وَكُـــلُّ حُـــبٍّ صَـــبَـــابَـــةٌ وَوَلَـــهْ[٣]
يَـنْـصُـرُهَـا الْـغَـيْـثُ وَهْـيَ ظَـامِـئَـةٌ
إِلَـى سِـوَاهُ وَسُـحْـبُـهَـا هَـطِـلَـهْ[٤]
وَا حَـرَبَـا مِـنْـكِ يَـا جَـدَايَـتَـهَـا
مُـقِـيـمَـةً فَـاْعْـلَـمِـي وَمُـرْتَـحِـلَـهْ[٥]

(١) الصرم: الفئة من البيوت بساكنيها وما فيها. المروح: مأوى الإبل. لقد خلت الديار من أحبّة الشاعر رغم ما فيها من بشر حلّوا مكان أحبته، فالديار موحشة كئيبة، فارقتها بهجتها فانعدمت فرحتها، وساكنو تلك الديار يتحرّكون، وإبلهم في مراحها تنعم بالراحة.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٦٩. رغم أن الشمس سرّ الحياة فلولاها ما استمرّ الوجود ولهلك سكّان الأرض أجمعون، فإن حبيبة الشاعر لو تخلّت عن سكنى فلك من الأفلاك لما رضيت للشمس أن تحلّ محلّها لأنها أجمل من الشمس ومحاسنها تفوق ما تتمتّع به.

(٣) الأدؤر، الواحد دار. الصبابة: رقّة العشق. الوله: ضياع العقل. يعلن الشاعر صراحة عن حبّ من أحبّ بل ويحبّ أيضاً تلك الديار التي يزيّنها بطلّة طلعته البهية؛ ذلك أن الحبّ شوق وحنين حتى يبلغ الأمر بالمحب أن يتيه في الآفاق ضائع الرشد والعقل.

(٤) الهطل: المطر المدرار. يصف الشاعر حال تلك الديار وقد خلت من حبيبته؛ فرغم فيض الأمطار التي تهطل عليها فلا تزال ظمأى لعشقها راحلة عنها.

(٥) وا حرباه: تعبير عن الأسف والحزن. الجداية: ولد الظبية. يأسف الشاعر على الحالة التي وصل إليها، ففي حال الظبية الأنيقة اللطيفة الوديعة الجميلة بقيت، فبقاؤه لا يجدي نفعاً لصدودها وتمنّعها، فلا لقاء ولا ود، وهي في بعدها عن تلك الديار فالأمر سيان؛ إنها مشكلة الشاعر في كلّ حال.

لَـوْ خُـلِـطَ الـمِـسْـكُ وَالْـعَـبِـيـرُ بِـهَـا
وَلَـسْـتِ فِـيـهَـا لَـخِـلْـتُـهَـا تَـفِـلَـهْ[١]

أَنَـا ٱبْـنُ مَـنْ بَـعْـضُـهُ يَـفُـوقُ أَبَـا الـ
ـبَـاحِـثِ وَالـنَّـجْـلُ بَـعْـضُ مَـنْ نَـجَـلَـهْ[٢]

وَإِنَّـمَـا يَـذْكُـرُ الْـجُـدُودَ لَـهُـمْ
مَـنْ نَـفَـرُوهُ وَأَنْـفَـذوا حِـيَـلَـهْ[٣]

فَـخْـراً لِـعَـضْـبٍ أَرُوحُ مُـشْـتَـمِـلَـهْ
وَسَـمْـهَـرِيٍّ أَرُوحُ مُـعْـتَـقِـلَـهْ[٤]

وَلْـيَـفْـخَـرِ الْـفَـخْـرُ إِذْ غَـدَوْتُ بِـهِ
مُـرْتَـدِيـاً خَـيْـرَهُ وَمُـنْـتَـعِـلَـهْ[٥]

---

(١) خلط: مزج. العبير: أخلاط من العطر. التفلة: ذات ريح نتن. تحلو الديار بساكنيها، فإذا خلت من الأحبَّة استحالت إلى أرض موبوءة حتى ولو خالطها العبير وساح في أرجائها، ففي نظر المحبّ تبدو قفراء منتنة.

(٢) و (٣) مشكلة الانتساب في العصر العباسي كانت من أسباب التفاضل في السلَّم الاجتماعي، فالكثيرون من فرس وعجم وغيرهم ينتسبون إلى أعراق شريفة من قومهم أو من العرب، ولا شكّ أن المتنبي عانى من تلك المشكلة في مجتمع يبني علاقات البشر على هذا الأساس. إنه يفخر على من يبحث عن أصله، فوالد المتنبي فوق من يُفتش في تاريخ أسرة الشاعر، وبالتالي فالمتنبي فوق ذلك الباحث، لأن الولد سرّ أبيه. وهو يرى أن التفاضل، فضلاً تفوّق الآباء، وهذا مدعاة للفخر، إلّا أن الفخر الصحيح أن يعلو المرء بنفسه ويفخر بمنجزاته وعلوّ شأنه، فيزيد رصيداً على رصيد أجداده.

(٤) العضب: السيف البتّار. اشتمله: جعله تحت ثوبه. معتقله: واضعه بين ساقه وركابه. السمهري: الرمح. قلب الشاعر المقاييس، فالفخر للعضب أن يشتمل عليه الشاعر، فالشاعر ليس كأحد من البشر إنه المتنبي وكذلك بالنسبة للرمح فمن حسن حظه أن يستعين به الشاعر، وهذا أعلى مكانة بين جنس الرماح.

(٥) يروى «حبره» بدلاً من «خيره» أي زينته وجماله، إنه فخر المتعالي، وعليه فيجب أن يفتخر الفخر بأن الشاعر ارتداه زيًّا له، ومن حسن حظه أن رضي الشاعر أن ينتعله حذاءً له.

أَنَــا الَّــذِي بَــيَّــنَ الإِلٰــهُ بِــهِ الــ
ـأَقْــدَارَ وَالــمَــرْءُ حَــيْــثُــمَــا جَــعَــلَــهْ[١]

جَــوْهَــرَةٌ يَــفْــرَحُ الْــكِــرَامُ بِــهَــا
وَغُــصَّــةٌ لَا تُــسِــيــغُــهَــا الــسَّــفِــلَــهْ[٢]

إِنَّ الْــكِــذَابَ الَّــذِي أُكَــادُ بِــهِ
أَهْــوَنُ عِــنْــدِي مِــنَ الَّــذِي نَــقَــلَــهْ[٣]

فَــلَا مُــبَــالٍ وَلَا مُــدَاجٍ وَلَا
وَانٍ وَلَا عَــاجِــزٌ وَلَا تُــكَــلَــهْ[٤]

وَدَارِعٍ سِــفْــتُــهُ فَــخَــرَّ لَــقًــى
فِي الْــمُــلْــتَــقَــى وَالْــعَــجَــاجِ وَالْــعَــجَــلَــهْ[٥]

---

(١) يفخر الشاعر أنه منحة الإله للممدوحين الذين يكتشفهم ويُسبغ عليهم من الفضائل ما يستحقُّون فيرفع من قيمهم، كما أنه يضع من قيم أناس بخلاء وضعتهم الحياة في غير مواضعهم فأساؤوا إلى تلك المواضع. نوّه الشاعر بما فضله اللَّه عزّ وجلّ على كثير من البشر، وتلك حقيقة لا تُنكر.

(٢) الغصّة: ما يعلق في حلق المرء من طعام يؤذيه أو سواه. تسيغها: تبتلعها. السفلة: الرعاع من العامة. يُتابع الشاعر حديثه عن نفسه، إنه جوهرة نادرة يُعلقها الزمان حيث تُزيّن المحظوظين من الممدوحين فيفرحون بالعثور عليها من بين ركام هائل من مدّعي الكلمة، وهو في نفس الوقت شجى في حلوق السفلة اللئام من الحساد الذين حاولوا الحطّ من قيمته ليستسيغوه، فإذا به يخنقهم ولم يستطيعوا ابتلاعه.

(٣) و (٤) يعرّض الشاعر بناقل حديث كاذب، فلن يكيد له بذلك ولن يُنقص من شأنه ولن يحطّ من قيمته، وناقل الأكاذيب لا يُساوي شيئاً في نظر الشاعر، فهو لا يهتم ولا يُبالي بما نقل إلى أبي العشائر من كذب زائف، ولن يُساير على حسابه مهما تكن النتائج، وهو ليس بضعيف بل هو قويّ يستطيع أن يردّ كيد الكائدين إلى نحورهم، وهو بالتالي ليس اتّكالياً، بل إنه يقوم بعمل ما يجب أن يقوم به.

(٥) الدارع: الذي يرتدي درعاً. ساف: ضرب بالسيف. اللقى: المطروح أرضاً. العجاج: الغبار. العجلة: التسرّع. ومن دواعي فخر الشاعر أنه بطل، فقد أودى بحياة بطل يتحصّن بدرع ارتداه، فأدى به إلى الردى بسيفه متعفراً بالتراب والغبار يتصاعد في السماء في معركة طاحنة، ولقد أسرع إلى حتفه، فلقي ما سعى إليه برجليه.

وَسَـــامِـــعٍ رُعْـــتُـــهُ بِـــقَـــافِـــيَـــةٍ
يَـحَـارُ فِـيـهَـا الْـمُـنَـقِّـحُ الْـقُـوَلَـهْ[١]
وَرُبَّـــمَـــا أُشْـــهِـــدُ الـــطَّـــعَـــامَ مَـــعِـــي
مَـنْ لَا يُـسَـاوِي ٱلْـخُـبْـزَ الَّـذِي أَكَـلَـهْ[٢]
وَيُـــظْـــهِـــرُ ٱلْـــجَـــهْـــلَ بِـــي وَأَعْـــرِفُـــهُ
وَالـــدُّرُّ دُرٌّ بِـــرَغْـــمِ مَـــنْ جَـــهِـــلَـــهْ[٣]
مُـسْـتَـحْـيِـيـاً مِـنْ أَبِـي الْـعَـشَـائِـرِ أَنْ
أَسْـحَـبَ فِـي غَـيْـرِ أَرْضِـهِ حُـلَـلَـهْ[٤]
أَسْـحَـبُـهَـا عِـنْـدَهُ لَـدَى مَـلِـكٍ
ثِـيَـابُـهُ مِـنْ جَـلِـيـسِـهِ وَجِـلَـهْ[٥]
وَبِـيـضُ غِـلْـمَـانِـهِ كَـنَـائِـلِـهِ
أَوَّلُ مَـحْـمُـولِ سَـيْـبِـهِ الْـحَـمَـلَـهْ[٦]

---

(١) رعته: أعجبته. المنقح: المصحح الذي يميّز بين الصحيح والرديء من القول. القولة: من يجيد الكلام. يفخر الشاعر بموهبته الشعرية، فهو يُفاجئ الكثيرين من المتفوّقين في عالم الكلمة؛ فثمّة سامع أدهشه ما يسمعه من جميل شعر المتنبي فأبهته بقصائده، فتكون سبب حيرة العالم بفنون الكلام المطّلع على جميل القول وفصيحه.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٨٥. يروى «يشهد» بدلاً من «أشهد». يُندد الشاعر بمن وشى به، وينوّه بتواضعه وكرمه، ومن الجائز أن يُشارك المأكل من لا يساوي الخبز الذي يأكل، لأن الخبز أكثر قيمة في نظره من آكله.

(٣) يُردف الشاعر أن هذا الحاسد يتغافل ويتجاهل الشاعر والشاعر على علم بما يُخفي هذا المرء من كراهية، ولكن الأمر بالدّرّ والدّرّ يتلألأ ضياءً وإشراقاً، إنه الشاعر مشهور معروف من سائر الناس.

(٤) و (٥) الحلل: الأثواب. وجلة: خائفة. يُخاطب الشاعر أبا العشائر بأنه يستحي أن يلبس خلع ممدوحه في بلاد غير بلده، فتكريم الممدوح أن يرى على الشاعر ما تفضّل به عليه، وهويته بما يرتدي أمام من يشعر بالوجل والخوف، فحتى الأردية الممنوحة تشعر كذلك بالوجل من مانحها.

(٦) النائل: الهبة. السيب: العطاء. ولمعرفة مدى جود أبي العشائر يطلعنا الشاعر على =

مَـــا لِـــيَ لا أَمْـــدَحُ ٱلْـــحُـــسَـــيْـــنَ وَلا
أَبْـــذُلُ مِـــثْـــلَ الْـــوُدِّ الّـــذِي بَـــذَلَـــهُ[١]
أَأَخْـــفَـــتِ الْـــعَـــيْـــنُ عِـــنْـــدَهُ خَـــبَـــراً
أَمْ بَـــلَـــغَ الْـــكَـــيْـــذُبَـــانُ مَـــا أَمَـــلَـــهْ[٢]
أَمْ لَـــيْـــسَ ضَـــرَّابَ كُـــلِّ جُـــمْـــجُـــمَـــةٍ
مَـــنْـــخُـــوَّةٍ سَـــاعَـــةَ الْـــوَغَـــى زَعِـــلَـــهْ[٣]
وَصَـــاحِـــبَ الْـــجُـــودِ مَـــا يُـــفَـــارِقُـــهُ
لَـــوْ كَـــانَ لِـــلْـــجُـــودِ مَـــنْـــطِـــقٌ عَـــذَلَـــهْ[٤]
وَرَاكِـــبَ ٱلْـــهَـــوْلِ لا يُـــفَـــتِّـــرُهُ
لَـــوْ كَـــانَ لِـــلْـــهَـــوْلِ مَـــحْـــزِمٌ هَـــزَلَـــهْ[٥]

= أن ممدوحه يهب الغلمان البيض ويحملهم الهبات إلى بيوت من يهديهم عطاياه.

(١) يُقدّم الشاعر اعتذاره، مقرًّا بالتقصير، لذا فسيمدح الحسين وسيبذل له من الحبّ ما يستحقّه، لأنه لم يُقصّر نحوه، فقد قدّم له الكثير من فضله.

(٢) الكيذبان: الكذاب. العين: الرقيب. الشاعر في حيرة من أمره، فهو لا يعرف الدخول إلى عقل الأمير وسيلة سوى المنطق السليم، فثمّة من ينقل له الأكاذيب ويخترعها، والردّ على ذلك بالتأكيد على إخلاص الودّ والاستمرار بمدح الأمير، وبذلك يتمّ تكذيب الكاذب.

(٣) منخوّة: ذات نخوة. الوغى: الحرب. زعلة: نشيطة. يُحيل الشاعر الممدوح ليبطش بأمثال هؤلاء، وهو الذي يضرب بسيفه رؤوس الأعداء المتجبّرين، فبإمكانه أن يقطع دابر كل متكبّر في ميدان المعركة.

(٤) عذل: لام. يمدح الشاعر الممدوح بأنه صاحب الجود، والصاحب ملازم لصاحبه، والجود بدوره ساكت على أفعاله في تبذير أمواله، فلو قدر على التصريح والنطق بما يرى للامه على ذلك.

(٥) الهول: العظيم من الأمور الجسام. يفتّره: يحدّ من عزيمته. فيتراخى المحزّم: ما يشدّ الحزام من جسم الدابة. يمدح الشاعر ممدوحه بالأخذ بالحزم، إنه شجاع يركب الأهوال ولا يتعب من ممارسة الحروب، حتى إن الهول لكثرة ركوبه لو كان له حزام لأضنته الحروب ودبّ به الهزال، فحياة الممدوح تسير على وتيرة واحدة.

وَفَارِسَ الأَحْمَرِ المُكَلَّلَ فِي
طَيِّءٍ المُشْرَعَ الْقَنَا قِبَلَهْ[١]
لَمَّا رَأَتْ وَجْهَهُ خُيُولُهُمُ
أَقْسَمَ بِاللَّهِ لا رَأَتْ كَفَلَهْ[٢]
فَأَكْبَرُوا فِعْلَهُ وَأَصْغَرَهُ
أَكْبَرُ مِنْ فِعْلِهِ الَّذِي فَعَلَهْ[٣]
الْقَاطِعُ الْوَاصِلُ الْكَمِيلُ فَلَا
بَعْضُ جَمِيلٍ عَنْ بَعْضِهِ شَغَلَهْ[٤]
فَوَاهِبٌ وَالرِّمَاحُ تَشْجُرُهُ،
وَطَاعِنٌ وَالْهِبَاتُ مُتَّصِلَهْ[٥]

(١) و (٢) الأحمر: جواد الممدوح في وقعة أنطاكية. المكلّل: الجاد في مسعاه. شرّع القنا: وجّه الرمح. قبله: نحوه. يصف الشاعر ما فعله أبو العشائر في معركة أنطاكية، فقد كان يصول ويجول على فرسه الأحمر المنطلق بقوّة في الميدان، وقد شرّع رمحه نحو عدوّه، يُنذر بالموت المحتم، وهاهم أولاء أمامه، فإذا بالفرس ينحدر نحوهم، وقد أقسم الممدوح أنه لن يعود عنهم إلّا وهم رقود قتلى معفّرون بالتراب.

(٣) ثمّة موقف أمام ما يقوم به الممدوح، فالأعداء يستغربون ما يقوم به الممدوح، إنه في نظرهم عظيم كبير، بينما هو يراه صغيراً تافهاً فباستطاعته أن يفعل الأفاعيل ويُعطي من نفسه أكثر بكثير مما يرون.

(٤) يروى «القائل» بدلاً من «القاطع» كما يروى «القاتل». يمدح الشاعر ممدوحه بصفات محبّبة لدى الممدوحين، إنه لا يتردّد بأمر من الأمور، فيقطع بها عندما يتطلّب ذلك ويصل في حال وجوب ذلك، ولقد اجتمعت له الفضائل كلها، وهو يمضي بفعل العظائم من الأمور، فإذا ما انتهى من أحدها بادر إلى خير منها وأفلح في ذلك.

(٥) وردت الأبيات الثلاثة المتوالية في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٤٣٨. تشجره: تخالطه. الهبات، الواحدة هبة: العطايا. ما يشغل بال الممدوح الجود فلا ينقطع حتى في حال اشتعال الحروب ومصادمته للأقران وهم يُوجّهون رماحهم إلى صدره، والقتال والاستعداد له حتى وهو يُوزّع هباته على مستحقيها.

وَكُـلَّـمَـا أَمَّـنَ الْـبِـلَادَ سَـرَى
وَكُـلَّـمَـا خِـيـفَ مَـنْـزِلٌ نـزَلَـهْ[١]
وَكُـلَّـمَـا جَـاهَـرَ الْـعَـدُوَّ ضُـحًـى
أَمْـكَـنَ حَـتَّـى كـأَنَّـهُ خَـتَـلَـهْ[٢]
يَـحْـتَـقِـرُ الْـبِـيـضَ وَالـلِّـدَانَ إِذَا
سَـنَّ عَـلَـيْـهِ الـدِّلَاصَ أَوْ نَـثَـلَـهْ[٣]
قَـدْ هَـذَّبَـتْ فَـهْـمَـهُ الْـفَـقَـاهَـةُ لِـي
وَهَـذَّبَـتْ شِـعْـرِيَ الْـفَـصَـاحَـةُ لَـهْ[٤]
فَـصِـرْتُ كـالـسَّـيْـفِ حَـامِـداً يَـدَهُ
لَا يَـحْـمَـدُ الـسَّـيْـفُ كُـلَّ مَـنْ حَـمَـلَـهْ[٥]

---

(١) يروى «آمن» بدلاً من «أمّن». يمدح الشاعر ممدوحه بأنه مصدر أمن لرعاياه، فحيثما نزل استتبّ الأمن وعاش السُكان في ظله برعايته وحمايته، وهو يستعدّ لغزو الأعداء يسري إليهم ليلاً فيُفاجئهم، كما أنه لا يتوانى على النزول في مواطن المخافة فيجعل فيها الأمن يستقرّ بوجوده.

(٢) ختل: خدع. يتحدث الشاعر عن سلوك ممدوحه في مواجهة عدوّه؛ فهو يحاربهم دون مواربة أو خديعة، جهاراً وعلانية، ومع ذلك فيبدو كأنه يُخادعهم فيأخذهم وكأنهم في غفلة، فأمكنوه من أنفسهم، وكان الظفر بهم له.

(٣) البيض: السيوف. اللدان: الرماح اللينة. سنّ: صب واكتسى. الدلاص: الدرع اللينة. نثل: ألقى عن. يروى «شنّ» بالشين بدلاً من «سن» بالسين. ولثقة الممدوح بشجاعته، فإنه يحتقر السيوف والدروع اللدنة، سواء ارتدى درعه أم ألقاها عنه، فالأمر عنده سواء في حال محاربته عدوّه.

(٤) الفقاهة: الفهم والعلم والذكاء. هذّب: صقل. إنها عملية تكامل بين الممدوح وشاعره؛ فكلّ منهما يُتمّم الآخر؛ فقد أوتي أبو العشائر فهماً وذوقاً وعلماً، كان من نتيجة ذلك أن قدّر شاعره حقّ قدره فأمكنه أن يفهم شعره، وكان ذلك سبباً يُساعده على صقل شعره وتهذيبه لما اتّصف به الممدوح من حسن الشمائل والخصال الحميدة.

(٥) أدّى تآلف الشاعر مع ممدوحه إلى عدم الاستغناء عنه لحاجة كلّ منهما للآخر، إنه =